**Received: 14/12/2020 Accepted: 2/2/2021 Published: 2021**

# الإبداع الفني في شعر ابراهيم الوائلي

**أ.د. ثائر محمد الدباغ**
**جامعة بغداد/ كلية التربية - ابن رشد للعلوم الإنسانية**
**قسم علوم القرآن و التربية الإسلامية**
**Their.mohamed@ircoedu.uobaghdad.edu.iq**

**مستخلص البحث :**
ابراهيم بن الشيخ محمد بن الحسين بن محمد حرج الوائلي واحد من الشعراء الذين انطلقوا في عالم الابداع في الشعر العراقي المعاصر فكان موهبة انطلقت في سماء الخيال تراكيب لغوية ابداعية وهو رؤية فنية حالمة وقد حاول هذا البحث المتواضع الموسوم بـ[**الإبداع الفني في شعر ابراهيم الوائلي**] أن يسلط الضوء على بعض جوانب الإبداع الفني في شعره فتضمن ثلاث محاور كان المحور الأول بعنوان [**المرأة و اثرها في تشكيل الصورة الوجدانية في شعر ابراهيم الوائلي**] أو المحور الثاني فجاء بعنوان [**الصورة السياسية في شعر ابراهيم الوائلي**] في حين كان عنوان المحور الثالث [**الرمز وأثره في تشكيل صورة الوائلي الفنية**].

**الكلمات المفتاحية:** الإبداع، الصورة، الرمز، الشعر، ابراهيم الوائلي .

**المقدمة :**

الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله و أهل بيته و أصحابه و من اتبع هداه و بعد .

عالم الإبداع الفني ميدان يتبارى فيه الأدباء عامة و الشعراء خاصة ، صوراً فنية تجسد موهبتهم لتكشف عن حضورهم الثقافي , لقد كان لابراهيم الوائلي حساً مرهفاً و مشاعر جياشة تركت بصمتها في عالم الخلود الأدبي فقد حاول [ إبراهيم بن الشيخ محمد بن الحسين بن محمد بن حرج الوائلي المولود في جزيرة صقر التابعة لناحية شط العرب سنة 1332هـ- 1914م، أثناء الحرب العالمية الأولى عند أخواله [ بني حطيط ] ، لقد حاول ومنذ نعومة أظفاره أن يحلق في ميدان الشعر تجسيداً لموهبته و تعبيراً عن خلجات نفسهِ ، و لعل عشقه للأدب جعله ينصرف إلى حفظ الشعر و نظمهِ دون أن يعلم والدهُ بذلك وإن كان والدهُ شاعراً غير أن تلك الخطوات الأولى في ميدان الإبداع قد ضاعت، لقد كانت محاولاته الشعرية الأولى لا تخرج عن دائرة التقليد ولكنه سرعان ما كسر ذاك الطوق التقليدي مستعيناً بأخيه الأكبر ( الشيخ قاسم ) و قد كان شاعراً (الوائلي، 1945، ج1، ص9) و كاتباً فتعلم على يديه العروض فضلاً عن أنه أرشده إلى كتاب العراقيات الذي يضم مجموعة من شعراء العراق في القرن التاسع عشر كالازدي و عبد الباقي العمري و السيد حيدر و السيد جعفر الحليين و السيد محمد سعيد الحبوبي ، ولكن هذا لم يشفِ غليلهُ فأولئك الشعراء كانوا تقليدين وقد حاول الوائلي أن يبتعد عن التقليد ، فالتجأ إلى دواوين الشعر العربي ونحسب أن ديوان المتنبي وحماسة أبي تمام فضلاً عن شعراء الجيل الحديث أمثال ( شوقي و حافظ و مطران ) كانت المعين الذي أرتشف منه رحيق الابداع الذي غذى موهبته فضلاً عن اطلاعه على نتاجات شعراء المهجر أمثال ايليا أبو ماضي، و ميخائيل نعيمة و غيرهم. لقد انطلق في ميادين الإبداع صوتاً مرهفاً يحلق في عالم الخيال ليرسم صورة الإبداع التي يعبر من خلالها عن أماله وآلامهِ وطموحاتهِ وتطلعات مجتمعهِ العراقي فضلاً عن تطلعات الأمة العربية وقد حاول هذا البحث المتواضع الموسوم بـ **(الإبداع الفني في شعر ابراهيم الوائلي)** أن يسلط الضوء على بعض جوانب الإبداع في شعره من خلال ثلاثة محاور كان المحور الأول بعنوان: **(المرأة و اثرها في تشكيل الصورة الوجدانية في شعر ابراهيم الوائلي)**، أما المحور الثاني فبعنوان **(الصورة السياسية في شعر ابراهيم الوائلي)**، في حين جاء المحور الثالث بعنوان **(الرمز وأثره في**

**تشكيل صورة الوائلي الفنية)** وفي مساء يوم الجمعة 28 شعبان 1408هـ- 15 نيسان 1988، رحل الإبداع شخصاً وبقي خلوداً في عالم الخيال .

**المحور الأول : المرأة و اثرها في تشكيل الصورة الوجدانية في شعر ابراهيم الوائلي :**

لم يكن الوائلي (على الرغم من انشغاله بالأوضاع السياسية وما يعانيه المجتمع من ظلم واضطهاد ، فضلاً عن نشأته الدينية المحافظة) بعيداً عن ميدان الحب و المرأة فلم يجد بُداً من أن تطفح تلك المشاعر الوجدانية ثيمات فنية متخذة من المرأة و لوعة الحب وسيلة للتعبير عن تلك العاطفة الجياشة[*] .

**قفي وأنظري يا ميَّ أول نظرةٍ ... لكي تعرفي ماذا أقاسي من الدهرِ**
**عتبت وما تدرين ماذا من الأسى ... تحمَّل قلبي قط أنك لم تدري**
**فلو كنت قبل اليوم عالمة بما ... أقاسيهِ لأستبدلت عتبك بالعذر**
**ألا فأقرئي لغزَ بعينيَ تعرفي ... هنالك سراً قد تخبأ في صدري**
**وأني لأخفي سر نفسي وإنما ... ملامح وجهي شاهدان على سري**

(الوائلي، 1945، ج1، ص17)

لقد اتكأ على (ميّ) يبثها شجونهَ وآلامهَ فلو ألقت نظرةً على وجعهِ المثقل بالهموم لعلمت معاناتهُ وآلامهُ ، لقد أوجعه عتبها ولو انصفت لشاطرتهُ همومهُ وأحزانهُ ، ثم أنها لو أحسنت لغة العيون لعلمت ما يقاسيه و يعانيهِ و يخفيهِ في صدرهِ من أسرار أثقلت كاهلهُ بالألم واللوعة، ومهما حاول إخفاء آلامه وأوجاعه فإن تقاسيم وجهه المثقلة بغبار الأحزان شاهدٌ يفضحُ سره ، لقد حاول أن يجسد حالة الاضطراب النفسي متخذاً من (ميّ) وسيلة يرسم من خلالها صورة معاناته النفسية ، لقد عاش كغيره لحظة الانتظار التي بات يرقبها ليبثها معاناتهِ و ليُحلق معها في عالم الطمأنينة :

**طويت العهد يا سلمى ... فلا طيف ولا نجوى**
**وما راعيت سهرانِ ... أطال العتب والشكوى**
**فإن شئت فلقياك ... وتلك الغاية القصوى**
**وإلا فدعي الطيف ... يخفف عني البلوى**

(الوائلي، 1945، ج1، ص162)

فقد بات يعلل نفسهُ (بسلمى) و لقائها فإن جاءت و إلا فدعيني وطيفك الحالم عوناً وتسلية وما زال يحلم بلقاءها وأن كاد النهار يطوى معاناة رحلته وتلبس الشمس ثوب نومها:

**أرى الأطيار قد عادت ... ولاح النجم للرائي**
**وهذي الريح قد خفت ... وذابت موجة الماء**
**وجفن الشمس قد أغفى ... يحضن الأفق النائي**
**وسلمى لم تعد يا ليل قد ... شردت أغفائي**

وتحسب أن الوائلي قد بلغ ذروة وصفهِ في قصيدة (حائرة) فأنه يتناول صورة مرأة شاهدها في الليل وهي شاردة الذهن، كدمعة لا تترقرق ولا تجمد في محاجر العيون أو كالتمثال لا تأبه بمن حولها :

[*]من مقابلة شخصية مع الوائلي في داره ببغداد يوم 1987/7/11.

**شاهدتها والليل مسودةٌ أطرافهُ والنجم لا يهتدى**
**حائرة كالدمع في مقلةٍ لم ينحدر منها ولم يجمد**
**واجمة لا شيء يلوى بها من ضاحك في الدرب أو مجهد**
**مطرقة في خلجات الدجى كأنها التمثال في معبد**

(الوائلي، 1945، ج1، ص168)

و لعله في هذا يعبر عن حالة الصراع التي يكابرها و لا يجد من يشاركهُ حالة الأسى واللوعة وكأنه في واد و الآخرون في وادٍ آخر و كانت تلك الحائرة صراعهُ النفسي الذي لم يجد سبيلاً إلى بثهِ ، و لعل مما زادهُ ألماً حالة مجتمعهُ الفتي الذي تغتال الأيام أمالهِ فما يكاد يحلم بالراحة و تغتالها يد المنون و هذا ما أشار إليه في رثاءهِ للملك غازي :

**خمسون صيرت التأريخ مهزلة والزيف مفخرة والحق بطلانِ**
**والفئ خالصة محبي المكتنز والظلم مشتركاً والعدل بهتاناً**
**تلقى الجياع بها مذ كان أولهم يجتاب واحته الخضراء غرثانا**
**يكسو الصغار بقايا من نسالتهِ كما يغيث أخو الأطيار ريان**

وطالما تمنى الموت ليريح تلك النفس المعذبة المثقلة بهمومها وأحزانها :

**أنا مهما الليل أرخى ثوبهُ يشهد المضجع لي بالسهدِ**
**وإذا ما زر فوقي حبيبه بن محفوفاً بداء الكمدِ**
**ليت هذا القلب يقضي نحبهُ مستريحاً من ظلام النكدِ**
**قد غطاه الوجد والهم الجسام والنجوى القائل والداء الدفينِ**
**وإذا القلب به الهم أقسام ليس يجد به بكاء وحنينِ**

(العبيدي، 1986، مجلة العراق، العدد 3062، ج1)

ثم يتخذ من الليل ميداناً يبثه آلامه و أشجانه محاولاً التخلص من جبال الهموم و جلاميدها :

**كم أقضي الليل والهمّ مقيم في الحشا ما بين طيات الفؤاد؟**
**دامي المقلة ذا طرف كليم حظه في الليل دمع وسهاد**
**ويل رفقاً أيها الليل البهيم بمعنى لم يذق طيب الرقادِ**

و لعل مما جعله يغرق في بحر الألم توديعهُ أحبائه ، فقد كان رحيلهم جرحاً يقض مضجعهُ و يطفحُ صوراً رثائيةً يلونها بأشجانهِ و آلامهِ .

لقد ترعرع الوائلي في كنف أبيه و نال من عطفهِ الشيء الكثير و من علمه العلم الغزير فصار أستاذه و مربيه الأول , مارس حب اللغة العربية و العرب في نفسه فقد وجدنا صدق العاطفة والشعور في مرثيتهِ الأستاذ الأول(ديتر يمي، 1891م، ج1، ص908)، التي عبر فيها عما وجده في نفسه و آمن به :

**أبتاه ذاب اللحن في شفتي دما فأبى علي الحزن أن أترنما**

**تلك المقاطع وهي أعذب ما التقت فيه الشفاه و قد استمالت علقما**

ثم يحدثنا عن والده الذي يقضي الليل في العبادة و التنهد و قراءة القُرآن الكَريم فقد كان على جانب كبير من العلم و الدراية ، و كان من الشخصيات المعول عليها في الوعظ و الارشاد فقد كان قوي الحجة مع من يحاججهُ في مسألة ما :

**كم وقفةٍ لك والظلام مجنحُ والنجم في الأفق المظلم هوما**
**تستنُ من فرضٍ إلى متنصلاً في حين تحتضن المهاجع نوما**
**من للكتاب وكنت في صفحاتهِ حرفاً أجل من الحروف واعظما**
**أفنيت فيه العمر تكشف غامضاً وتريح ما أسدى الخيال والحما**
**وترد مأسور الضلال إلى الهدى وتعيد معوج الطريق مقوما**

ثم يصف الوائلي موقف و بطولة والده في ثورة العشرين حيث شارك في التحريض على الثورة ضد الإنكليز وقد كاد يشنق في الرميثة لولا وقوع الثورة و وصول النجدة التي كانت لهباً على رؤوس المعتدين .

**أزمعت أن ترد المنية فادياً شعباً وأن تلقي الردى مقتحما**
**أبيت- إذ رفعوا المشانق حبرةً أن تستكين لهم وأن تستسلما**
**حتى أنتك من الطلائع نجدة تركت طريق الانكليز جهنما**

ثم يشيد الوائلي بالدور الذي قام به والده تجاه تربيته و تغذيته بالعلوم العربية التي ورثها الولد من والده فكانت خير إرثٍ له :

**غذيتني الفصحى لسان أبوةٍ حفظت ربيعة في الخيام وقشعما**
**ارث نهضت به ولم يك سلعةً في سوق متجر يبيع ليفتما**
**شأن (الحسين)(*)أبيك عطر ئربة نقح اسماء مبجلاً ومكرماً**
**وهب التقى والعلم عمراً حافلاً ومضى على سنن الهدى مترسما**

ويختم الوائلي قصيدته مخاطباً والدهُ قائلاً مضيت وتركت أجمل ما يتركه الأب لأولاده و لنفسه من ثناء الناس ومدحهم فأنت الشموخ و أن طواك الردى :

**ومضيت لم تترك وراءك خافياً إلا الثناء وما عدوت به فما**
**فلأنت في القلبِ اليقين مصوراً ولأنت في العين الضياء مجسما**
**ولأنت أنت على الشوامخ ماثلاً وأن افترشت ثرى الجنادل أعظما**

(التميمي، 1988، ص25)

لقد كانت قصيدة الوائلي عبارة عن كتلة من المشاعر التي يحملها تجاه والده لقد جسّد فيها صفات والده حيث وصفها وصفاً صادقاً وأصيلاً .

لقد فجع الوائلي بوفاة أمه في ريف البصرة في 27/ شعبان/ 1363هـ- 16/آب/1944، فنظم قصيدته (أماه) وهو في بغداد(الوائلي، 1945، ج1، ص739)، فراح ينظم مرثية (أماه) التي تحمل في طياتها كل معاني الألم والأسى:

**اطبقت للموت- لا أطبقت- أجفانا فرحت بعدك أحوي الليل سهرانا**

**(*)هو العلامة الجليل الحسين بن محمد بن حرج جد الشاعر درس على يد أشهر علماء عصرهِ كالشيخ محمد حسين الكاظمي و غيره حتى بلغ درجة الاجتهاد و ألف في الفقه .**

**واستدرجتك يدٌ جبارة فثوى من الأمومة ظل كان فينانا**
**أني فجعت بقلب منك لست أرى سواه بالعاطفات اليوم معوانا**
**أودى به الموت عجلان الخطا فمضى وكان يغمرنا حباً وتحنانا**

ويستمر الوائلي في هذا النفس المتشابك عاطفة جياشة وحزناً رقراقاً و مشاعر وأحاسيس يلونها الألم و البراء والذكريات التي انهالت في وجدانه ومخيلته ألماً و حسرة و ناراً متأججة بين أضلاعه (علوان، 1986، ص414).

**أماه- أين الليالي البيض ما برحت في الذهن عالقة أم أين نجوانا؟**
**وأين عهد مضى ما كان أبهجه كالروض مؤتلق الجنبين مزدانا**
**ثارت به النكبات السود جامحة فأبدلته بصفو العيش حرمانا**
**وبات كالطيف يغشى العين منهزماً أو كان لخيال يزور الفكر عجلانا**

ثم لا يلبث أن يذكر شقيقته التي توفيت قبل أمه بشهرين:

**شهران ما انقضيا في أثر فاجعة نكراء قد خطفت للطهر عنوانا**
**ذوت بها نبعة كالظل وارفةُ ما جاوزت مع ربيع العمر نيسانا**
**شقيقة لست أنساها وأن بعدت كالغيث قلباً وكالأنسام ازدانا**

وفي الحوادث و الملمات قد يغالط الشاعر نفسه لشدة ارتباطه بمن يفجع به , الأمر الذي يدعوه إلى تكذيب الخبر و هذا يذكرنا بقول المتنبي في رثائهِ لأخت سيف الدولة الكبرى .

**طوى الجزيرة حتى جاء في خبر فرعت فيه بأمالي إلى الكذب**
**حتى إذا لم يدع لي صدقهُ أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرقُ بي**

(ديتر يمي، 1891م، ج1، ص908)

وهذا الأمر ذاته قد ألم بشاعرنا الوائلي فلم يصدق خبر وفاة أمه أول سماعه له و لكن حيثما صحَّ الخبر لم يبق أمل في كونه كذباً امتلأ قلبه ألماً و حسرة لفقدها.

**وقيل أمك قد ماتت فما فزعت نفسي وخلت حديث الناس بهتانا**
**حتى سرت لي الأسلاك قائلةً بأن كا كنت تخشى اليوم قد كانا**
**أماه- قد كان خطباً غير محتمل أني أراك على الأكتاف جثمانا**
**وأن يضحك داجي الرمس هامدةً وتستجدي من الأثواب أكفانا**

لقد كانت قصيدة الوائلي خلجة نفسية معبرة عن شعوره تجاه أمهِ التي سهرت لتربيتهِ وفرحت بتعليمه هذه الأم التي يكن لها الود والاحترام هي التي كانت له العون في حياتهِ، فأننا نجده وقد أبكاها بألم وحسرة ومرارة، ونخاله (وهو في خضم أزماته النفسية) يتخذ من الطبيعة وجمالها الخلابة متنفساً يحيا من خلاله حياة الدعة والراحة فقد كان في قصيدته (بين النخيل) حالماً رومانسي الروحي فأنه يرى في جمالية الطبيعة ونظارتها روح الأمل.

**ترنيمة البلبل عند الصباح قد نعست من روح الأمل**
**وبهجة الحقل ونور الأفتاح قد أغمر قلبي بنور الأمل**

ونسب أن من السمات الأساسية التي يتصف بها شعر الوائلي هي سماحة لغته فهو لم يلتجئ إلى التصنع الذي عهد عليه بعض معاصريه و خاصة الذين اعتادوا أن يجعلوا معاجم اللغة إلى جنب الدواوين ، فالفكرة عنده هي التي تأتي باللفظ المناسب لها .

**المحور الثاني: أبعاد الصورة السياسية في شعر ابراهيم الوائلي :**

لقد عاش الوائلي حالة الصراع السياسي التي كان يمر بها العراق خاصة و الوطن العربي عامة ، فلم يكن بعيداً عنها و منشغلاً بغيرها ، حالهُ حال أي مواطن شريف يحمل على كاهله هموم شعبه و أمتهِ فنسمعه في قصيدة (يا نفس) من قصائده (نقمة من الحياة) :

**كتمت شعوري مخرسات جمة حتى خشيت أن يموت شعوري**
**فهجرت نفسي ثم عدت لطينها متألماً ما قد المَ لعاشق مهجورِ**
**وطويت أمالي وجل مأربي من أمة جبلت على التقصيرِ**
**ليل الجهالة ضاربٌ أطنابه ويقال هذا العصر عصر النور**

(الوائلي، 1945، ج1، ص139)

لعلك تلحظ حالة الألم التي يعيشها الشاعر فقد عض على مشاعره بناجديه أن لا يبوح بها مخافة اغتيال تلك المشاعر، ثم يستعين بصورة الشاعر المهجور الذي يعيش حالة الصراع بين مشاعره الجياشة وبين واقعهِ المرير ثم ينفض كفيه بأساً من أمة صار التقصير شعارها ثم يستعين بعامل السخرية والاستهزاء ليجسد صورة التناقض التي يعيشها المجتمع، فقد أثقل ليل الجهالة كاهل آلامه وحشد أطناب جهله في عصر يقال عنه أنه عصر النور والتحرر أما في قصيدة (يوماً بأيلول) فما زالت نفسه تتطلع إلى الحرية ويتغنى بالثورة من أجل اشراقة يوم جديد:

**يوم بأيلول في التأريخ مزدهر قد عُد بيضاً به اعوامنا السودُ**
**يوم به عقد التاج الأعز على ملك له التاج اضحى و هو محسود**
**تاج على الملك الغازي له الق أرث جأتهُ به أباؤه الصيدُ**
**خطت عليه يد الايام قائلة نصر من الله بل فتح وتأييدُ**

فحالة النشوة طفحت على مشاعره و لونت صورهُ تغنياً بالملك غازي و ترجمت للمجتمع العراقي بهجة أيامه، ذاك اليوم الذي عقد فيه التاج للملك غازي فأنه ابن أولئك الآباء الصيدُ ثم يلون صورته بالاقتباس القرآني ﴿ **نصرٌ من الله و فتحٌ قريب**﴾(سورة الصف، الآية 13)، ليكمل صورة الأمل (الوائلي، 1945، ج1، ص60)، (مجلة الهاتف العدد 204، 16/شباط/1940)، و لا يكتفي بهذا وحسب و إنما يتخذ من الدعاء ثيمة يشكل به صورته على أن يبقى للشعب مؤتمناً من أجل توحيد العرب و الأخذ بيدهم إلى طريق النصر.

**يا عاهل العرب دُم للشعب مؤتمناً إليك قد القيت منه المقاليد**
**و سر توحيد شمل العرب كلهم على العزيمة ظل النصر ممدود**

ونحسب أن قصائده التي كتبها عامي 1940- 1941 ثورة عارمة بوجه الاضطهاد و العبودية و قصيدته (مصرع سياسي) هي ثورة تندد بالحكام الظالمين آنذاك في العراق و بأفعالهم الخسيسة التي لا تعرف سوى البطش و الارهاب بكل من يسعى لبناء العراق و تحقيق أماني شعبه ، أين الحوادث و هي كثر أن ترى شعباً إلى غاياته يتقدم :

**تبني الأكف وللحوادث معول يأتي على ذاك البناء فيهدم**

براثن الحقد و شراك الباطل تأبى أن ترى شعباً ينهض متشحاً بخيوط الحرية و الازدهار، فالهمة تبني و معاول الغربان تهدم , و شدة حب الوائلي للعراق تجعله يثور من أجله ومن أجل كل من يسعى لبناء صرحه وقصيدته (بغية العلم)وقد أذاعها راديو بغداد في سنة 1941، ونشرتها جريدة العراق لصاحبها (رؤوف غنام)(الوائلي، 1945، ج1، ص80)، تفصح عن تعلقهِ والتصاقهِ بوطنهِ والتضحية من أجلهِ:

**يا أيها الرَّمز المحلق والمنى ... يا صفحة المجد التي لا تحلقُ**
**إنَّ عراقنا المستثار عزائما ... أخى عليك لدى الجهاد وأشفقُ**
**لكِ في الرقاب- كما تشاء مكرماً ... عهد تقدسه القلوب وموثقُ**
**اِنا بظلك سائرون وكلنا ... جيش بغير العزم لا تتمنطقُ**
**شهدت لنا عز الوقائع إننا ... بسوى الكفاح دماؤنا لا تهرقُ**
**ولقد ابت أن تستدل نفوسنا ... يوماً وقائدنا الأباء المعرقُ**

أما قصيدة (حكم الأفراد) تكشف لنا عن عمق الحس الثوري الذي تنطوي عليه نفسية الوائلي تجاه شعبه و وطنه العراق من خلال وصفهِ لمسيرة الحكم الحاقدة آنذاك وما فعلته من قتل وسلب لخيرات البلاد :

**طف بالعراق لكي تشاهد أمة ... وقفت مصالحا على الآحادِ**
**يتشاورون على ابتزاز حقوقها ... كالزرع بين انامل الحصادِ**
**ونهاب خيرات البلاد تراهم ... في كل ثانية على استعدادِ**
**نفريرون الظلم خير فضيلةٍ ... لهم وقتل الشعب خير جهادِ**
**فتحكموا باسم المصالح وابزوا ... يستمرئون سياسة الأحقادِ**

(كمال الدين، 1981، مجلة الثقافة، ع10، ص176)
ثم يمضي ليختم قصيدته بوصف العبء الثقيل الذي يتحمله الشعب الأبيّ نتيجة لجور حكامه ومن خلفهم الاقطاعيون الذين يبتزون البلاد باسم أسيادهم :

**عبء على الشعب الأبي نفاية ... حكمت فكانت داثَ كل فسادِ**
**ووراءها في الريف اقطاعية ... باسم الزعامة وهي للأفرادِ**

لقد تفاءل خيراً في ثورة الرابع عشر من تموز 1958 التي التفت حولها جماهير واسعة تساندها و تدفع بها إلى أمام نحو انجازات عظيمة لتحقيق الديمقراطية و القضاء على ظروف التخلف في البلاد ثم الانطلاق مع الشعوب المتحررة نحو بناء عالم جديد متقدم(الزبيدي، 1983، ص61) ، و لكن انحراف الثورة عن نهجها أحبطت آمال الوائلي وجعلته يعيش في حالة من اليأس حيال تلك الثورة التي تغنى بها في قصائده فجر اندلاعها وقصيدته (صمت)(الوائلي، 1945، ج2، ص257)، تجسد صورة واضحة وصادقة لمعاناة الوائلي بعد أن وجد الحياة تسير كما كانت عليه قبل الثورة، فالإنسان يظلم و لا يستطيع أن يدافع عن نفسه وقد كان يأمل أن يبدل ذلك الظلم بهذا العهد الجديد ولكن أحلامه هجرته فسكت عن الغناء و هو يرى الناس حوله تشدُ و تَمور الا هو فقد راح يحيا حياته التي تعودها قبل الثورة التي كانت مليئة بالأحزان :

**مالي سكتُ عن الغناء وعن أناشيدي الجميلة**
**وهجرت ألحاني فلم أصدح كأطيار الخميلة**
**الشعب حولي في انطلاقته كتموز العظيم**
**وأنا أتمتم في حزيران المكفن بالسموم**

لقد حلم أن يعيش حالة الطمأنينة والدعة في ظل العصور السياسية الجديدة التي مرَّ بها العراق لكن سرعان ما تحطمت أحلامه فالحياة فقر وسراب كل ما فيها وحوش ضاربة لقد وجد نفسه تائهاً في صحرائها.

**أني هنا يا نجم أصبح في الظلام بلا دليل**
**وأبثهُ بيداء موحشة سوى جسمٍ نحيل**
**ورأيت في تشرين نفسي مثلما كانت عليه**
**تشكو ولكن لم تجد في الحي من تشكو إليه**

لم يكن الوائلي صوتاً حراً مقتصراً على وطنهِ العراق وإنما كان يحيا أمان الأمة وآلامها وطموحاتها في كسر طوق الاحتلال واجتثاث جذوره الخبيثة فما كادت مأساة فلسطين تصيب جسد الأمة العربية حتى ابترى موجهاً اهتمامه في شعره إلى هذه المأساة العربية فأكثر فيها نظماً فقصيدة (صرخة) شاهد حي على انتفاضته فقد خاطب فيها الأمة العربية وحثّها على النهوض لنصرة فلسطين.

**يا أمة المصطفى قد حان أن تثبي ففي فلسطين شبت ثورة العربَ**
**أما تهزك أنباء مروعة عن أمة سامها الأعداء بالعصبِ**
**هذي فلسطين قد أضمت على مضضٍ مغمورة بظلام الويل والحربِ**
**وأصبحت في يد الأعداء مقتسماً ما بين مستلبِ منهم ومغتصبِ**

وفي قصيدته (فلسطين رمز جهاد العرب)(الوائلي، 1945، ج1، ص172)، و(مجلة عالم الغد، ع22، 1945/10/16) و(مجلة الرسالة، ع20746، 1947)، فأنه يشيد بالدور البطولي للفلسطينيين ومن خلفهم الجيوش العربية.

**وقفت ومثلك لا يستكين مناضلة حين جد الطلب**
**وأزمعت ألا ترى غاصباً يجوس الديار ويغشى الرحب**
**ولا طامعاً والفاً بالدماء يظن بأرضك نيل الأرب**
**وكيف ينال الذي يبتغيه وفيك الحرام وفيك العطب**
**وخلفك جيش يخوض الدماء ويسبحُ في موجها المصطخب**

ثم يخاطب الصهاينة الغزاة أن الأرض لم تكن إلا لأبنائها:

**أفيقوا دعاة الخصام البغيض ولا تبعثوا كامنات الرَّيب**
**فللعرب موطن آبائهم ولله أمر يثير اللذهب**

وأثناء الزحف العربي لتحرير فلسطين نظم الوائلي قصيدته (يا بنت و ايزمان) التي يخاطب فيها الصهاينة الغزاة مفتخراً بزحف الجيوش العربية :

**فترقبي سيل الكتائب عارماً أوفى على تأريخك المهدودِ**
**واستقبلي زمر الجنود تلاحقت غاراتها موصولة بجنودِ**
**من كل خواض الدماء إذا انتخى لبس الحديد على أمض حديدِ**

**أبناء يثرب والفرات وجلق والنيل , يا للزاجفين الصيدِ**
**الذائدين عن الديار غراتها والحارسين تراث خير جدودِ**
**والقائلين إذا أستثيرت عزمة للأرض يا ذات الشوامخ ميدي**

(الوائلي، 1945، ج2، ص33)، و(مجلة عالم الغد، ع7، 1948/8/16) و(مجلة الرسالة، ع793، 1948).

لقد كُلِفَ بالثورة والحرية حتى أصبحا طابعه المميز، فقد كان يمجدها في معظم قصائده، و لا تكاد قصائده الأخوانية وقصائد ذكرياته عن الريف تخلو من ذلك (فالثورة تعيش في دمهِ وفي شعرهِ واعية متطورة وهو مؤمن بها كل الايمان(كمال الدين، 1981، مجلة الثقافة، ع10، ص161-164) ، وعلى هذا الأساس يرسم الشاعر صورهُ التي تمثل تجاربه في الحياة أو مشاهداتهِ اليومية التي عاشها بنفسه، وتمثلها في وجدانهِ بواسطة الخيال الذي يحلق به حول الظاهرة التي يريد أن يرسمها في شعرهِ، فإن الشاعر وحينما تؤثر فيه ظاهرة معينة ينفعل معها يتصورها في رؤياه الشاعرة التي يختلف بها عن رؤية الإنسان العادي وبهذا سوف تتوارد عليه جملة من المعاني فيحضرها في فكرهِ، ويخطرها على قلبه حتى تكتمل الصورة في ذهنه عند ذلك يعبر عنها بصياغة شعرية ممزوجة بعواطفهِ وأحاسيسهُ حتى تخرج صورة معبرة ومؤثرة في سامعيه وقارئيه ومحركة لمشاعرهم لأن (**العاطفة دون الصورة تبقى عمياء والصورة دون العاطفة يابسة جامدة فارغة**)(ابشار، 1997، ص189) ، وبغية الشاعر أن تكون صوره الشعرية قوية ليتمكن من (**إثارة عواطفنا واستجابتنا للعاطفة الشعرية**)
(لويتس، د. ت، ص39).

ويحدث هذا التأثير كلما كانت لغة الشاعر العاطفية مألوفة جزلة بعيدة عن المصطلحات العلمية و الكلمات الغريبة التي لا يألفها السامع أو القارئ او لا تتماشى مع الذوق الأدبي

**المحور الثالث: الرمز و أثره في تشكيل صورة الوائلي الفنية:**

و هو احد العناصر الفنية التي يوظفها المبدع في رسم ابعاد صورته الشعرية فأنه ( يتكلف خفاء المعنى مع سير المطلب و ينشد موسيقى الألفاظ مع وضوح الدلالة و بذلك يحافظ على انتمائه إلى التراث العربي و يساير تطورهِ ) ( البصير 1987، ص117 )

و قد اختلفت آراء النقاد والباحثين بشأن الرمز، وتباينت على وفق ذلك أقوالهم عن ماهية علاقته بالكناية، فمنهم من عدّهُ جزءاً منها ودرسه على وفق هذا المنظار كأبن رشيق القيرواني الذي جعله نوعاً من الإشارة (القيرواني، 1981، ج1، ص305 وما بعدها) ، وهذا يعني أن البلاغيين والنقاد القدامى قد عرفوا الرمز وأشاروا إليه لكونه يمثل اسلوباً فنياً متطوراً من أساليب البيان العربي ومن الغريب أن نرى باحثاً (حسن، 1945، ص173)، ينكر الرمز وينفي صلته باللغة العربية ويعدهُ غريباً عن رحم الأدب العربي، في حين أننا نرى أن للرمز صلة حميمة ليست منقطعة عن العربية وأدبها الخالد وبالتالي فأن ( الصلة بين الكناية و الرمز شبيهة بصلة الكناية بالتعريض ، فكلاهما ينبع من أصلٍ واحد وهو إرادة غير ظاهر المعنى ودلالة اللفظ الأولية (الصغير، د. ت، ص119) .

وتتجلى أهمية الرمز وأثره في الأسلوب البياني من خلال دوره المهم في تشكيل الصورة و منحها أبعاداً فكرية و نفسية تجعلها ذات قيمة فنية وجمالية تستحق التأمل والاهتمام، وقد أدى الرمز وما يزال دوراً كبيراً في حركة الأدب الحديث عموماً وفي الشعر على وجه الخصوص لأنه (إيحائي بجوهره لا يكتفي بتصوير الأشياء المادية لا بل يسعى إلى نقل تأثيرها في النفس بعد أن يلتقطها الحس، فضلاً عن أنه يهتم بالتعبير عن الأجواء المبهمة التي تتسرب إلى أعماق الذات)(حمدان، 1981، ص27)، و قد صار للرمز وظيفة فاعلة في الايحاء وتجسيد الفكرة، فإنه (يستند أساساً إلى الظلال لايجاد جو من

الغموض والابهام)(هدارة، 1972، ص295)، مما يترك أثراً واضحاً في الانفعالات والأحاسيس الإنسانية (فلا عجب أن تجيء الصورة المعبرة عنها صورة مبهمة لأنها انعكاس لها وفي ذلك الابهام جمال وامتاع فالمعاني إذا جاءت خفية أو مقنعة فأن النفس تشترك في تطلع دائم لاستكناه حقيقتها وادراك ما يراد منها وفي تلك متعة للنفس وتنشيط للعقل وللتفكير الإنساني)(هلال، 1973، ص152).
و بناءً على ما تقدم فإن الرمز (هو الرابطة التي تصل بين النفس الإنسانية وبين الأشياء الخارجة، وفيه تنصب المشاعر التي تخالج النفس والتي يعسر التصريح بها)(هدارة، 1972، ص295)، فإننا لا نكاد نحس بحد فاصل بين الرمز والصور التي يتفاعل في تكوينها لأن الصورة تأتي موحية وبعيدة عن الوصف والتقرير.
فالرمز أحد الانجازات المهمة في القصيدة العراقية الحديثة(أطيمش، 1982، ص121)، و يظهر الرمز في شعر الوائلي منذ قصائده الأولى فهو في قصيدته ( نقمة من الحياة )(الوائلي، 1945، ج1، ص23).

**يا ليل طلت وما انتهيت فهل أراك إلى انتهاءِ**
**وهل الظلام المستبد بنا يغرق بالضياءِ**
**ومتى أرى الصبح الجميل يطل موقور البهاء؟**
**طال الشقاء فيا نسائم يهدى عهد الشقاءِ**

لقد كان الليل رمزاً لحالة الظلم التي لفت المجتمع تعسفاً وجوراً ، ولعل تساؤله الانكاري الحائر يجسد حالة الجور التي يعيشها الشاعر فضلاً عن المجتمع، ثم يبقى موظفاً لأدوات الاستفهام (هل , متى) تجسيداً لصورة الأمل المفقود الذي كرس حياته وشعره بحثاً عنه.
أما في قصيدة (حكم الأفراد) فأنه يشير إلى الحكام آنذاك وسلطته الرعناء :

**طف بالعراق لكن تشاهد أمة وقفت مصالحها على الاحادِ**
**يتشاورون على ابتزاز حقوقها كالزرع بين أنامل الحصادِ**

(الوائلي، 1945، ج1، ص91)
فعنوان القصيدة (حكم الأفراد) يجعلنا نعيش حالة التسلط التي حاول أن يرسمها , فأنك أن تجولت في ارجاء العراق لتضمن لك تلك الأعباء الجائرة التي ينوء بها العراق ومجتمعهُ .
وقصيدته (الهيكل الأجوف) فأنك تجد فيها رمزاً إلى (سامي شوكت) الذي كان وزيراً أبان الحكم الملكي :

**أقسم بالكرسي والمنصب أني لم أقرأ أو أكتب**
**ما أنا إلا هيكل أجوف أو صورة شدت للولبِ**

(الوائلي، 1945، ج1، ص343)، و(مجلة عالم الغد، ع 5، 1948/8/6)
و الإشارة أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى معان كثيرة بالايماء اليها و لمحة تدل عليها(العسكري، د. ت، ص971) ، لتجسِد هذا من قصيدته (أيها السامر في دجلة)(الوائلي، 1945، ج1، ص176)، و(مجلة عالم الغد، ع14-15، 1946/8/31)، حيث يشير إلى دنيا الرق التي يحياها الناس في ظل السياسات الحاكمة آنذاك وتحسب أن التهكم و التجربة عناصر وظفها في رسم رمزهِ و تجسيد أبعاده :

**يا لصراح أسير لا يملك أمراً**
**اتخذ العوسج مثواه وشوك الغاب وكراً**
**كلما رق جناحاه هوى للأرضِ ذعراً**

فالبلبل الجريح الذي خنقت ألحانه الظاهرة رمز لذاك الشعب الجريح الذي كُبلَ واغتيلت أحلامهُ ، ونراه في قصيدة (الموج الساخر) يشير إلى نكوص الجيوش العربية في تحرير فلسطين و يتضح ذلك من خلال تمثيله للأمة العربية بالفلك الدوار الذي لا يعرف أين مستقرهُ :

**موجة فوق موجةٍ تتلضى كجبال قد اقتلعن أقتلاعا**
**وعلى الفلك ساهرون ولكن لا يطيقون في الخضم دفاعا**

فالجيوش العربية أنذاك أمواج فارغة يتلو بعضها لا تدفع ضيماً ولا تسعف مظلوماً . ونخال أن توظيفهِ الرمز في شعره أنه عاش في زمن لا يستطيع فيه الإنسان التعبير عن مشاعره و أحاسيسه لذلك وجد الرمز خير طريق للتنفيس عن معاناتهِ و يظهر ذلك في قصيدته (الراعي الجبان)(الوائلي، 1945، ج2، ص19)، التي كان يشير بها إلى الوصي على العراق آنذاك و هو عبد الإله :

**أيها الراعي وما أنت سوى وقوى البيد ستلتف جميعاً**
**هائم جن والحماه الهوى وتدك الغاب والكهف المنيعا**
**غير أن الوعي في البيد استوى وتهيل الجدب في الأرض ربيعا**
**وسيمحى الشرقي كل مكان مثلما يجفن الضبابَ**
**وعصا الراعي إذا الراعي جبان سوف يطويها الغيابُ**

و يقول الدكتور عز الدين اسماعيل أن توظيف الرمز في السياق الشعري يضفي عليه طابعاً شعرياً بمعنى أنه يكون أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف و تحديد أبعاده النفسية .

و يكشف ديوان الوائلي بجزئيه عن رموز كثيرة وظفها الشاعر لتؤدي حالة التعتيم ليكون بمنأى عن أذى رجال السياسة ولعل هذا يبرهن على سعة اطلاع الوائلي وعمق فلسفته في الحياة بجميع ظواهرها وأحداثها .

**الخاتمة:**

بعد هذه الرحلة المتواضعة في ميدان الوائلي الشعرية، تلك الرحلة التي حاولت أن تكشف عن جانب من جوانب الإبداع في شعر ابراهيم الوائلي، أقف لأقول لقد حاول الوائلي أن يشكل صورها الإبداعية بآلة اللغة الفنية متضمنة طموحاتهِ في ميادين الحياة ، لقد كان الريف و طبيعته الخلابة و المدينة و تداعياتها عناصر انطلق من خلالها ليجد له موطئ قدم في عالم الإبداع فكان صوتاً حراً معبراً عن مجتمعهِ خاصة وأمتهِ عامة .

**المصادر والمراجع :**

**القُرآن الكَريم .**

1- ابشار، آندريه، النقد الجمالي، ترجمة: هنري زغيب، منشورات ويرات، بيروت، الطبعة الرابعة، 1997 .

2- أطيمش، محسن، دير الملاك- دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، دار الرشيد، بغداد، 1982.

3- البصير، حسن البصير، بناء الصورة الفنية في البيان العربي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1407هـ.

4- التميمي، شاكر هادي حمود، شعر ابراهيم الوائلي، دراسة ماجستير، رسالة مقدمة الى مجلس كلية الآداب في جامعة صلاح الدين، دراسة ماجستير، آداب في اللغة العربية، 1988.

5- حسن، أحمد، دفاع عن البلاغة، دار الرسالة للطباعة والنشر، بغداد، 1945.

6- حمدان، أمية، الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، وزارة الثقافة والإعلام العراقي- سلسلة دراسات (267)، بغداد، 1981م.
7- ديتر يمي، فريد رخ، ديوان أبي الطيب المتنبي- شرح العلامة الواحدي، طبع في مدينة برلين، 1891.
8- الصغير، د. محمد حسين علي، أصول البيان العربي، دار المؤرخ العربي، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، (دون تاريخ).
9- العبيدي، مهدي شاكر، من دراسة الديوان الوائلي، مجلة العراق/ العدد 3062، 22 شباط/ 1986، 13 جمادي الثاني 1406هـ.
10-العسكري، أبي هلال، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة الثانية، (دون تاريخ).
11-علوان، د. علي عباس، تطور الشعر العربي الحديث في العراق، علوان وزارة الثقافة والاعلام العراقية، الطبعة الثانية، بغداد، 1986.
12-القيرواني ابو علي الحسن بن علي بن رشيق ( العمدة في محاسن الشعر و ادابه و نقده ) , حققه و فصله ( محمد محيي الدين عبد الحميد ) ( دار الجبل , بيروت , 1981 )
13-كمال الدين، د. جليل، دراسة لديوان الوائلي القسم الأول، مجلة الثقافة، العدد 1981/11/10.
14-لويتس، س. د. ي، الصورة الشعرية، ترجمة: الدكتور أحمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسين ابراهيم، سلسلة الكتب المترجمة، (121).
15-مجلة عالم الغد، العدد 15/تموز/1945م.
16-من مقابلة شخصية مع الوائلي في داره ببغداد يوم 1987/7/11.

**Sources and References:**

**The Holy Quran.**
1- Abshar, Andre, Aesthetic criticism, translation: Henry Zgheib, Wirat Publications, Beirut, fourth edition, 1997.
2- Al-Askari, Abu Hilal, Book of the Two Industries, Investigation of Ali Muhammad Al-Bajjawi and Muhammad Abu Al-Fadl, Press of Essa Al-Babi Al-Halabi and Associates, Second Edition, (without date).
3- Al-Basir, Hasan Al-Basir, Building an Artistic Image in the Arabic Statement, Iraqi Scientific Complex Press, Baghdad, 1407 AH.
4- Al-Qayrawani, Abu Ali al-Hasan bin Ali bin Rashiq, mayor of the merits, etiquette, and criticism of poetry, Achieved, separated, and commented: "Muhyiddin Abdel-Hamid, Dar Al-Jeel, Beirut, 1981.
5- Alsghyr, Dr. Muhammad Hussein Ali, The Origins of the Arabic Manifesto, Dar al-Arab al-Arabi, First Edition, Beirut - Lebanon, (without history).
6- Al-Tamimi, Shaker HadiHammoud, Ibrahim Al-Waeli Poetry, Master's Study, Thesis submitted to the Council of the College of Arts at Salahuddin University, Master's Study, Arts in Arabic Language, 1988.

7- Al-Ubaidi, Mahdi Shaker, from the study of Al-Waeli Court, Iraq Magazine / Issue 3062, February 22/1986, 13 Jumadi Al-Thani 1406 AH.
8- Alwan, Dr. Ali Abbas, The Development of Modern Arab Poetry in Iraq, Alwan, the Iraqi Ministry of Culture and Information, second edition, Baghdad, 1986.
9- Dieter Yummy, FaridRakhkh, DiwanAbi Al-Tayeb Al-Mutanabi - An Explanation of the Single Sign, printed in Berlin, 1891.
10- From a personal interview with Al-Waeli in his home in Baghdad on 7/11/1987
11- Hamdan, Umayya, Symbolism and Romanticism in Lebanese Poetry, Iraqi Ministry of Culture and Information - Series of Studies (267), Baghdad, 1981.
12- Hassan, Ahmad, Defending Rhetoric, Dar Al-Risala Printing and Publishing, Baghdad, 1945.
13- Kamal Al-Din, Dr. Jalil, a study by Diwan al-Waeli, first section, Journal of Culture, No. 10/11/1981.
14- Lewitz, S. Dr.. The poetic image, translated by Dr. Ahmed Nassif al-Janabi, Malik Miri and Salman Hussein Ibrahim, translated books series, (121).
15- tmish, Mohsen, Deir Al-Malak - A Critical Study of Artistic Phenomena in Contemporary Iraqi Poetry, Dar Al-Rasheed, Baghdad, 1982.
16- Tomorrow's World Magazine, Issue / 15 / July 1945.

***Artistic creativity in Ibrahim Al-Waeli poetry***

**Prof. Dr. Thaer Mohammed Al-Dabbagh**
Baghdad University / College of Education
IbnRushd for the Humanities
Department of Quranic Sciences and Islamic Education

**Abstract:**

Ibrahim bin Al-Sheikh Muhammad bin Al-Husayn bin Muhammad HarajAl-Waeli is one of the poets who set out in the world of creativity in contemporary Iraqi poetry so it was a talent that set out in the sky of imagination creative linguistic structures and it is a dreamy artistic vision. To shed light on some aspects of artistic creativity in his poetry, which included three axes, the first axis was entitled [Dimensions of the Emotional Image in Ibrahim Al-Waeli's Poetry] or the second axis, so it came under the title [The Political Image in Ibrahim Al-Waeli's Poetry], while the title of the third axis [the symbol and its effect on shaping The image of Al-Waeli Technical].

**Key words:** creativity, image, symbol, poetry, Ibrahim Al-Waeli.